John Bagot Glubb, Peace in the Holy land
(London, Hodder & Stoughton, 1971)

يقول غلوب في كتابه هذا ان الايمان بالله هو رأس الحكمة . ولكن اي اله ؟ هذا سؤال يلقيه في وجهنا سريعا وينعطف فيجيب عليه بأنه اي اله غير الذي عبده اليهود . ويؤكد غلوب ان خطأ كبيرا وقع بسبب خطأ صغير في الترجمة . لقد عبد بنو اسرائيل في سيناء والخليل « يهوه » ولكن الاوروبيين ترجموا هذه الكلمة الى اليونانية بكلمة « السيد » والخالق . وهكذا أخطأ مسيحيو اوربا فيما بعد بمطابقة يهوه بالرب الرحيم الغفور الكريم ، رب المحبة والخير الذي عرفته المسيحية والاسلام . ويؤكد غلوب ان يهوه اله غضوب ، حاد المزاج ، لا يرحم ولا يشفق ، يأمر بقتل البريء والمذنب دون شفقة . وحسب السرد التاريخي للكاتب ، كان هذا هو المنحى الذي نحاه عبدة يهوه طوال تاريخهم الطويل عموما . هذه افكار تكفي لتوجيه تهمة معاداة السامية لاي كاتب . ولكن غلوب يزيد اليها فيقول ان اليهود هم ليسوا شعب الله المختار وانما شعب يهوه المختار وانهم هم الذين اختاروا انفسهم لخدمة هذا الاله الحقود .

« السلم في الارض المقدسة » كتاب يبحث عن الحرب في الارض المقدسة . وفيه انتقل غلوب من تاريخ العرب الى تاريخ اليهود . وفي تحليله لهذا التاريخ ينتهي الى استنتاجات طريفة منها ان موسى تلقى فكرة التوحيد من عرب سيناء والحجاز ، وان العرب لم يعرفوا الوثنية ولكنهم كانوا يشركون بالله وهو شيء آخر ، وان المصريين لم يعاملوا اليهود كعبيد مطلقا بل ان سليمان هو الذي عاملهم كعبيد بتسخيرهم للعمل المجاني القسري ، وان اليهود هم الذين بدأوا باضطهاد الاخرين والتعالي عليهم ، وان اليهود لم يشكلوا اكثرية في فلسطين في اي وقت كان . وبالنسبة للفكرة الاخيرة يعتمد غلوب على معرفته للمنطقة فيذكر ان كثيرا ما يحدث ان قبيلة بدوية تتسلل الى منطقة معينة وتنشر الويل والثبور بين فلاحيها وحرفييها حتى يضطر هؤلاء الى تقديم اتاوة لها دفعا للشر . وعلى مر السنين تعرف المنطقة باسم تلك القبيلة بالرغم من عدم تشكيلها للاكثرية او مساهمتها في الانتاج . ويستشهد غلوب بمثال لواء المنتفك في العراق ومملكة اسرائيل في القدم . وهي ظاهرة على درجة مرعبة من الواقعية فمن يدري كم عام سيمضي قبل ان نسمع عن « الشرق الاسرائيلي » بدلا من الشرق العربي .

للجنرال غلوب خلفيات ثلاث : الخلفية الارلندية فالانكليزية ثم العربية . ومن الاولى ابتلي بتشبثه باللاهوتية ، ومن الثانية ابتلي بتعلقه بالبداوة ، ومن الثالثة ابتلينا نحن باستطراداته واعاداته . فمن مثالب هذا الكتاب الاعادات المملة والاستطرادات التي تصل حدا نابيا ، ومن ذلك مثلا هذه الانطلاقة الصوفية « واصبح يهوياقيم ملكا خاضعا لمصر ثم انتهى استقلال يهودا بعد عشرين سنة مثلما انتهى استقلال مصر بعد دخول الروس في ١٩٦٧ ، بعد عشرين سنة من انسحاب انكلترا منها . » ولكننا سرعان ما ندرك ان هذه التسبيحة لم تفلت سهوا من العقال . هناك نظرية واسعة وراءها قرأنا خطوطها في كراس سابق نشره غلوب بعد حرب ١٩٦٧ . اساس هذه النظرية ان كل دولة حكمت مصر كانت الدولة المعظمة الاولى في العالم . هذا ما حدث في عهد الفراعنة والاغريق والرومان والعرب والاتراك وفرنسا وانكلترا . المسألة اصبحت مثل مسألة فانوس علاء الدين السحري . ومتى استطاعت روسيا الحصول على هذا الفانوس اصبحت اعظم دولة في العالم . وروسيا ، في عرف غلوب ، تعرف ذلك وخططت له بايقاع الجمهورية العربية المتحدة في حرب حزيران لتندحر وتقع مهزومة في احضان موسكو ! وللحيلولة دون هذه الكارثة ، يهيب غلوب بالعالم الغربي بكسب صداقة العرب وذلك برفع الحيف عنهم . وهنا ينهي المؤلف كتابه بمقترحاته لاحلال السلام وهي انسحاب اسرائيل الى حدودها قبل ١٩٦٧ ، اعطاء غزة لها مقابل منطقة مماثلة تضم الى الضفة الغربية ، توطين اللاجئين على ضفتي الاردن .

وفي حديثه عن اليهود في القرون الوسطى ، وبعد استطرادة طويلة عن الاسلام ومكارمه ، يثبت بالحجج ان اليهود لم يتمتعوا بحرية وسعادة كما نعلوا في عهد الحكم الاسلامي . ولكنه يمضي في تعميمه الى القول بأن حتى ادعاءات اليهود عن الاضطهاد في اوروبا مبالغ فيها ، ان لم تكن محض افتراء . وهنا سيثير ضده بدون شك صرخة معاداة